ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

# واشنطن وطهران والملف النوويّ.. حتى لا يُظلم السلف ويُلام الخلف!

**د. عدنان منصور**

قبل إجراء الانتخابات الرئاسية في إيران مؤخراً، تناولت المناظرات بين المرشحين للرئاسة الإيرانية علاقات إيران الخارجية، حيث ركز البعض على أهمية الانفتاح، وضرورة التواصل مع الغرب والولايات المتحدة لجهة الملف النووي الإيراني والعقوبات المفروضة على إيران. كما ألقى بعض المرشحين في هذا الشأن المسؤوليّة على عاتق من تولّى مقاليد الأمور في السنوات السابقة التي أعقبت توقيع الاتفاق النوويّ بين إيران والمجموعة ٥+١، وما آلت اليه العلاقات بين الغرب وإيران بعد انسحاب الولايات المتّحدة منه.

اليوم وبعد انتخاب الرئيس الجديد للجمهورية مسعود بزشكيان، يطرح المراقب والمتتبّع للشأن الإيراني، السؤال بكلّ موضوعية: هل إيران هي التي تخلّت وانسحبت من الاتفاق النووي حتى نحمّلها مسؤولية تدهور العلاقات مع الغرب؟! وهل الوكالة الدولية للطاقة الذرية بعد توقيع الاتفاق، ولحين انسحاب الرئيس الأميركي دونالد ترامب منه بعد ثلاث سنوات عام ٢٠١٨، سجلت خرقاً واحداً للاتفاق من جانب إيران؟! هل التزمت الدول الأوروبية الثلاث بريطانيا وفرنسا وألمانيا بالاتفاق النووي، التي وإنْ لم تنسحب منه شكلياً، إنما انسحبت عملياً مثلها مثل واشنطن؟! وأكثر من ذلك، ألم تلتزم هذه الدول بتنفيذ العقوبات الأحادية الجانب التي فرضها ترامب على إيران، دون أن تحترم هذه الدول الثلاث الاتفاق الدولي، وتحافظ على قرارها السيادي المستقلّ، وتثبت على الملأ، أنها خاضعة، وتابعة للإرادة الأميركية في كلّ ما تتخذه من قرارات حيال إيران؟!

الذين حمّلوا مسؤولية تدهور علاقات إيران مع الغرب في الفترة السابقة، والعقوبات المفروضة عليها، بسبب سياسات طهران المتشدّدة إزاء الغرب، فيه الكثير من التحامل والظلم. ما الذي كان على إيران أن تفعله إزاء انقضاض ترامب على الاتفاق النووي؟! وما الذي كان يتوجّب عليها أن تفعله بعد أن دعاها ترامب الى طاولة المفاوضات مجدّداً، للبحث ليس في ملفها النووي فقط، وإنما البحث في ملفات أخرى ترتبط مباشرة بسيادة إيران وقرارها الوطني، وأمنها القومي، كملف الصواريخ، وبرامج الفضاء وغير ذلك من الملفات الحساسة.

ما بإمكان الرئيس الجديد مسعود بزشكيان أن يفعله حيال الملف النووي؟! ومن الذي عليه أن يأخذ المبادرة لإعادة الأمور الى نصابها، ووضع حدّ للخلاف الناجم بعد انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق، وإعادتها فرض العقوبات وتشديدها على إيران؟! مَن خرق الاتفاق عليه مدّ الجسور، وليست إيران صاحبة الحق التي يتوجّب عليها القيام بالمبادرة، حتى لا تضع نفسها في موقف ضعيف، تبحث فيه عن مخرج بأيّ شكل من الأشكال.

موقف الولايات المتحدة واضح لا لبس فيه، فهي لا تريد إيران قوية، ودولة تمتلك التكنولوجيا النووية السلمية، ولا تريد أن ترى إيران قوة مقتدرة، صاحبة قرار مستقلّ، تتصدّى لهيمنة واشنطن ونفوذها وسعيها للسيطرة على المنطقة، وترفض وجود دولة

الاحتلال «الإسرائيلي» في الشكل والأساس.

ما الذي تستطيع إيران أن تقدّمه لواشنطن والغرب بعد أن حصلت على الحدّ الأدنى من حقوقها في الاتفاق النووي، الذي وصفه نتنياهو بعد ساعات من توقيعه بأنه «خطأ تاريخي»، وشدّد في وقت لاحق على أنّ «إسرائيل» غير ملزمة بالاتفاق الموقّع بين إيران ومجموعة ٥+١.

لا يمكن لإيران أن تتراجع في مسألة الاتفاق النووي، لأنّ أيّ تراجع سيدفع بواشنطن وحلفائها الى ابتزاز طهران وطلب المزيد منها.

كم كان مرشد الثورة الإيرانية السيد علي الخامنئي على حق، بعيد النظر وحاد البصيرة عندما وجد رغبة عند بعض المسؤولين الإيرانيين، وإلحاحاً منهم لإجراء مفاوضات حول البرنامج النووي، وكان ذلك قبل توقيع الاتفاق عام ٢٠١٥، قائلاً لهم: «إذهبوا، إنّ أميركا لن تعطيكم شيئاً». وبالفعل لم تنفذ واشنطن شيئاً من الاتفاق الذي مرّ عليه أكثر من تسع سنوات، ولم تترك الآخرين يعملون على تنفيذه، بل ألزمتهم مرغمين على تطبيق عقوباتها التعسّفية السابقة، والعقوبات اللاحقة الأكثر شراسة على إيران.

لا تقتصر العلاقات السياسية المتدهورة بين إيران والغرب وبالذات الولايات المتحدة، على البرنامج النووي الإيراني، وإنما تتعدّاه الى أبعد بكثير. دولتان على طرفي نقيض. واشنطن لم تتقبّل يوماً الثورة الإيرانية منذ عام ١٩٧٩، ولن تتقبّلها لحظة، لأنها ترى في نظامها ما يشكل تهديداً مباشراً لمصالحها، وخطراً على نفوذها، واستغلالها في الشرق الأوسط، ورفضاً مطلقاً لدولة وحقوق وطن، وكرامة شعب.

فإذا ما أرادت الولايات المتحدة فعلاً إيجاد حلّ لخلافاتها المستحكمة مع إيران منذ عقود، والتطرق الى الملفات الساخنة، ما عليها إلا أن تتخلى عن شروطها المسبقة، وكراهيتها، وعدائها، وحصارها للنظام الإيراني.

فالخطوة الأولى تبدأ من واشنطن وليس من طهران. فمن أدار ظهره للاتفاق النوويّ، وارتكب خطأ سياسياً، وأخلاقياً وخرج من الاتفاق بشكل غير أخلاقيّ ودون مبرّر، عليه ترميم ما هدم، وإنْ كان الرجوع عن الخطأ يأتي من دولة عظمى.

لو أرادت إيران أن تساوم على حقها وتتحرّر من العقوبات لفعلت ذلك، لكن لا مع الرئيس حسن روحاني ولا مع الرئيس الراحل إبراهيم رئيسي، ولا حتى مع الرئيس الجديد مسعود بزشكيان، على استعداد أأن تتخلى عن حقوقها الوطنية، وقراراتها السيادية.

فلا تنتظر إيران ايّ أمل او رجاء من الرئيس الأميركي الحالي جو بايدن، ولا أمل أيضاً يُرتجى من دونالد ترامب إذا ما عاد بعد أشهر الى الرئاسة الأميركية، فكلاهما وجهان لسياسة واحدة تناصب العداء لكلّ بلد وحاكم في المنطقة يريد أن يحافظ على قراره المستقل، ويحفظ كرامته وكرامة شعبه، ويرفض الدخول في بيت الطاعة الأميركي.

مشكلة الولايات المتحدة في تعاطيها مع إيران بعد ٤٥ عاماً من ثورتها، أنها لم تستوعب بعد حقيقة وهي، أنّ كلّ العقوبات المتتالية التي فرضتها عليها منذ عام ١٩٨٠ وحتى اليوم، لم تستطع لويَ ذراع الإيرانيين، وإنْ كانت العقوبات قاسية وشديدة عليهم. كما لم تستوعب واشنطن، أنّ عقيدة الثورة والنظام، ومعدن قادتها، ليست كعقيدة ومعدن الشاه ونظامه، الذي كانت تحركه من الداخل السفارتان الأميركية والبريطانية. ولعلّ مذكرات أسد علم رئيس الديوان الملكي في كتابه: «الشاه وأنا»، خير دليل على مدى تأثير وهيمنة النفوذ الغربي على إيران الشاه.

مَن يراهن على هرولة إيرانية باتجاه الولايات المتحدة دون قيد أو شرط بغية رفع الحصار والعقوبات عنها، ومهما كان الثمن، فهو واهم. لا يراهننّ أحد في الخارج على الانتماء السياسي لرئيس الجمهورية، أكان انتماؤه لتيار المحافظين او الإصلاحيين. فعند المحك والاستحقاق، ومصالح إيران القومية والأمنية، يصبح انتماء وولاء الجميع تلقائياً لإيران، وثورتها، وجمهوريّتها!

# حرب العقول بين المقاومة والاحتلال

**ناصر قنديل**

لما ينتبه الكثيرون لما حمله طوفان الأقصى من حقائق جديدة في مسيرة تراكمية للنجاحات والإنجازات التي تحققها المقاومة، وقد جاءت حرب الشهور التسعة التي أعقبت الطوفان لتحمل تأكيداً للكثير من معانيه وأبعاده، بعدما نجحت المقاومة في تحويل الحرب إلى استنزاف للاحتلال، تأقلم معها المقاومون، وتدبّروا

أمورهم، بحيث حسم أمر فشل الاحتلال في تحقيق أي من أهداف حربه، الى غير رجعة، ويدور القتال حول حجم الهزيمة التي سوف يُمنى بها الاحتلال، وحجم النصر الذي سوف تكتبه المقاومة.

في هذه الحرب الدائرة في غزة ومثلها التي تدور رحاها على حدود لبنان الجنوبية وصولاً الى عمق كيان الاحتلال، تأكيد للأبعاد والمعاني ذاتها، سواء لجهة فشل الاحتلال في إسكات الجبهة، أو في فصلها عن هدفها كجبهة إسناد لغزة خصوصاً في مسار التفاوض، وصار مأزق الاحتلال الذي تسبّبت به المقاومة، سواء عبر تهجير المستوطنين أو تجميد جزء هام وحيوي من جيش الاحتلال لجبهة لبنان بدلاً من إرسال هذه الوحدات للقتال في غزة، وصولاً إلى التحدي اليومي المذلّ والمهين لمهابة القوة التي كان يتباهى بها هذا الجيش، ومثل هذه الجبهة حال الجبهة اليمنية والجبهة العراقية، سواء لجهة فشل محاولات الفصل او الإسكات، أو نجاح المقاومة بخلق تحديات جديدة على كيان الاحتلال لا قدرة على التخلص منها إلا بوقف الحرب على غزة.

في النظر للتفوّق الذي تظهره المقاومة في هذه الحرب، يثبت بما لا يقبل النقاش، أن إنجازات طوفان الأقصى لصالح صورة المقاومة وقوتها ومقدراتها، بعدما كان الانطباع الذي وقع أسره الكثيرون، هو أن إنجازات الطوفان تعود لعنصر المفاجأة من طرف المقاومة، وليس إلى عناصر تتصل بالكفاءة والمهارة والقدرة على التخطيط وإتقان التنفيذ، وقد تمّ تغييب كل هذه العناصر في تقييم الطوفان ولاحقا تقييم الحرب، والاكتفاء بثنائية تلاحق المقاومة منذ نشأتها، وفي كل الميادين، وقوامها أن عنصري المفاجأة والقدرة على التضحية، هما مصدرا قوة المقاومة.

كان مفهوماً في بدايات تجربة المقاومة التركيز على قدرتها على تقديم التضحيات، وقدرة جسمها على تحمل بذل الدماء، وتسليم بيئتها الشعبية الحاضنة والداعمة بتقبل الكلفة المترتبة على المقاومة كخيار. وقد خرج عدد من المنظرين العسكريين يتحدّثون عن قوة المقاومة كثمرة لاستعداد شبابها للموت، وسقف ما يملكه أي جيش هو التهديد بالموت، فكيف تهدّد عشاق الموت به، وربما يكون قد نتج عن هذه النظرية الحديث عن ثقافة الموت، ومناهضة المقاومة بالحديث المعاكس عن ثقافة الحياة؛ بينما تجربة المقاومة تقول إنها في كل مسيرتها لن تسجل رقم المئة من الاستشهاديين، بل إنها في آخر حروبها مع الاحتلال والإرهاب في لبنان وسورية لم تلجأ الى هذه العمليات لانعدام الحاجة لها، والمقاومة تؤمن بالحياة وتحب الحياة، لكنها لا تهاب الموت ولا تخشاه عندما يكون تضحية فردية واجبة لتحيا أمة وينهض وطن، وتُحمى الأرض ويُصان العرض.

أظهر الطوفان وما تلاه على جبهات القتال، أن حركات المقاومة انتصرت في أكثر من حرب على كيان الاحتلال، وهي طبعاً كسبت عليه حرب التضحية، وربحت عليه حرب الروح المعنوية، لكن هاتين لا تختصران المقاومة ولا تفسّران تفوقها، فقد ربحت المقاومة أولاً وأصلاً حرب العقول، ومن ضمنها حرب الرواية، سواء لمفهوم الحق الفلسطيني أو لوقائع الحرب والميدان، رغم عدم امتلاكها إمكانيات إعلامية تتيح التفكير بتحدي الآلات الإعلامية العملاقة المكرسة للترويج لرواية الاحتلال.

في حرب العقول عناوين عديدة تجلى فيها تفوق المقاومة، فقد خططت المقاومة تصوراً معيناً لاجتياح غلاف غزة، ونفذت خطتها بنجاح واضح ومبهر، وخطط الاحتلال لاحتلال غزة وسحق المقاومة فيها، وهو يغرق في وحول حربه ومستنقعات الهزيمة كل يوم أكثر. وفي حرب العقول نجحت المقاومة في تفكيك شيفرات منظومات الحماية حول غلاف غزة واختراقها، بينما فشل الاحتلال في امتلاك خريطة واحدة لأنفاقها، ونجحت المقاومة بكتمان خطتها لغلاف غزة شهوراً طوال بحيث أصيب الاحتلال بالذهول والمفاجأة عند حدوث الطوفان. وفي تقنيات الأسلحة والخطط الحربية ظهرت المقاومة، في جنوب لبنان كقوة تكنولوجية متفوقة، خصوصاً في مجال التلاعب بالقبة الحديدية وتقنياتها، وتأمين المرور الآمن لطائراتها المسيرة وصواريخها، وصارت الحرب بين رجلين يجلس كل منهما أمام شاشة، واحد يتحكّم بالقبة الحديدية وصواريخها، والثاني يتحكم بالطائرات المسيّرة وخط سيرها، وحتى الآن يبدو واضحاً، أن صاحب الطائرات هو مَن يربح.

في حرب العقول تطوير الأسلحة، وها هي قذيفة الـ ١٠٥ وعبوة الشواظ تنتصران على أجيال الميركافا الأربعة، بما في ذلك ناقلة الجنود النمر، بينما تخرج المقاومة في لبنان كل يوم من ترسانتها أحد أسلحتها الجديدة التي صنعتها وطوّرتها، فتصيب العدو والصديق بالذهول، وها هي تسجيلات الهدهد الأول والثاني، تقول إذا لم تكن هذه حرب عقول فهي حرب ماذا إذن؟ والإنجاز كله فعل عقلي لا مكان للعضلات ولا التضحيات ولا المعنويات دور في صناعته، إلا من زاوية روح الإنسان الذي يستخدم عقله بطريقة مختلفة عن عدوه.

من حق المقاومة والمقاومين التركيز على هذا التفوق في حرب العقول، لأن الانتصار في الحرب ليس فقط انتصاراً للدم على السيف، بل انتصار لعقل يتقن إحدى التكنولوجيات ويقوم بصناعتها، ويتفوق على عدو تفرّد لعقود بهذه الميزة.

# منظّمة شنغهاي.. قوة موازنة للغرب لا يُستهان بها

كتب أستاذ الأمن الدولي في جامعة «برمنغهام» ستيفان وولف مقالة نشرت على موقع «آسيا تايمز» أكّد فيها أنّ العالم يشهد إعادة تشكيل النظام الدولي القائم، مشيرًا إلى أنّ «الصين وروسيا على ما يبدو تدخلان في تحالف سيكون موجهًا بشكل مباشر إلى الغرب بأكمله».

وأضاف الكاتب أنّ «المؤشر الأحدث على هذا التحوّل كان قمة منظمة تعاون شنغهاي التي انعقدت بتاريخ الثالث والرابع من تموز/يوليو الجاري في كازاخستان»، متحدّثًا عن وجود مؤشرات واضحة تفيد بأنّ الصين وروسيا تطمحان إلى جعل منظمة تعاون شنغهاي كتلة قوية موازنة للغرب.

وتابع «ما ورد في تصريحات الرئيسين

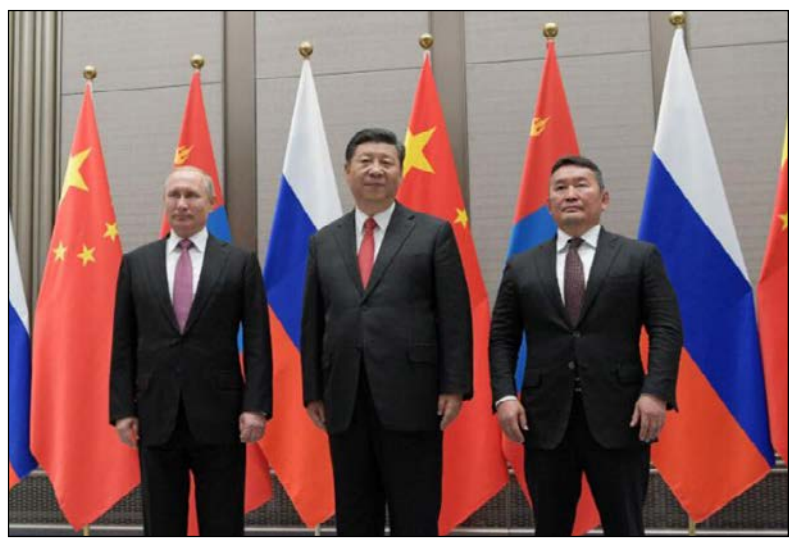

الروسي والصيني فلاديمير بوتين وشي جين بينغ يشير إلى ضرورة أخذ منظمة تعاون شنغهاي بالمزيد من الجدية".

ولفت الكاتب إلى ما ورد في كلمة بوتين خلال قمة منظمة تعاون شنغهاي حيث أعرب عن اعتقاده بأن العالم المتعدد الأقطاب أصبح واقعًا، وقال إن المنظمة المذكورة وإلى جانب منظمة البريكس تشكلان الأعمدة الأساسية للنظام العالمي الجديد، لافتًا إلى أنّ كلام الرئيس الصيني حمل نبرة مشابهة إذ جاء فيه أن رؤية منظمة تعاون شنغهاي تحظى بشعبية واسعة وأن لدى الدول الأعضاء في المنظمة أصدقاء حول العالم.

هذا، واعتبر الكاتب أن ذلك ربما هو المؤشر الأوضح حتى الآن على أن مواقف روسيا والصين حيال منظمة تعاون شنغهاي كقوة موازنة للناتو بدأت تتطابق، كما تحدث عن مؤشرات أخرى تفيد بأن روسيا والصين تستخدمان أدوات مختلفة لتقوية موقعيهما حيال الغرب.

كذلك تابع، أن الإستراتيجية المعتمدة على ما يبدو هي محاولة إضعاف الناتو وخلق فجوة بين الولايات المتحدة ودول أوروبية، متناولًا خطوات بدأت فعلاً لتعزيز العلاقات مع دول الناتو الصديقة مع روسيا والصين، مثل المجر وسلوفاكيا.

كذلك أشار الكاتب إلى أن «شي» وبوتين أكدا على موضوع يورآسيا، مضيفًا أنّ ذلك يعني بالنسبة لكليهما تقليص الدور الأميركي في المنطقة. وأردف أنّه «وبالنسبة إلى بوتين، فإن المسار الأساس هو نظام جديد من الضمانات للأمن الجماعي في يورآسيا، حيث إنّ الخطة على الأمد الطويل هي الإنهاء التدريجي للوجود العسكري للقوى الخارجية في منطقة يورآسيا".

أما بالنسبة للرئيس الصيني، فقال الكاتب إن «المسار هو ذات طابع اقتصادي أكثر، يركز على تقوية الروابط في مجالي التجارة والبنية التحتية بين الصين والاتحاد الأوروبي".

ولفت إلى أنّ الصين ستقوم بهذا الإطار بالترويج لمبادرة حزام واحد طريق واحد وممرات النقل. وبينما تحدث عن ضعف الهيكل الداخلي لمنظمة تعاون شنغهاي وخلافات بين أعضاء بارزين فيها مثل الهند وباكستان، نبه من أنه سيكون من الخطأ أن يقلل الغرب من شأن منظمة تعاون شنغهاي.

وأضاف في هذا السياق، أنّ هذه المنظمة هي أكبر بكثير من الناتو سواء على الصعيد المناطقي أم الشعبي، إلى جانب كون لديها موطىء قدم لا يستهان به في أوروبا عبر روسيا وبيلاروسيا. كذلك أشار إلى أن دول منظمة تعاون شنغهاي تشكل نسبة ٣٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي.

وتوقع الكاتب أن يتنامى ويتوسّع نفوذ الصين وروسيا في يورآسيا، فيما تتعزز العلاقات بينهما، إلا في حال استفاد الغرب من أسلوب موسكو وبكين بالسعي إلى خلق انقسامات بينهما، وفق تعبيره.

**العهد**